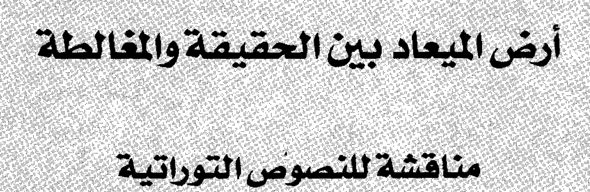


أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة

مناقشة للنصوص التوراتية

د. أحمد ربيع أحمد يوسف

كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فإن اليهود استطاعوا في غفلة من يقظة المسلمين الاستيلاء على فلسطين واستطاعوا في غفلة من يقظة الدبلوماسية الإسلامية أن يجعلوا العالم الغربي يقف معهم في خندقهم يمدهم بأسلحته ويناصرهم بسياسته..

ومازال الصراع قائماً حول هذه الأرض.

ومما يؤسف له أن اليهود يجعلون الصراع صراعاً دينياً يروجون له بنصوص العهد القديم التي تخدم فكرتهم حول الوطن القومي ودعوى أرض الميعاد، ويقررون في مناهج التعليم في دولتهم المزعومة تدريس سفر يشوع الذي يأمر بإبادة الكنعانيين لتبرير أعمالهم الأجرامية ضد العرب، ويطلق الساسة الإسرائيليون العنان للأحزاب الدينية المتطرفة أن تعمل كيف تشاء حتى أصبحت هذه الأحزاب هي الميزان الذي يرجح كفة الحزب الذي يحكم.

يحدث هذا في الوقت الذي يجعل فيه المسلمون صراعهم مع اليهود صراعاً قومياً بعيداً عن الدين فخاضوا معارك خاسرة تحت شعارات زائفة من قومية تارة واشتراكية تارة أخرى.

ثم تراجع الاهتمام إلى جعل القضية قضية محلية تحت شعارات براقة مثل حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، أو حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة.

وقد عقدت مؤتمرات متعددة، وأقيمت ندوات كثيرة بشأن قضية فلسطين، ولكن يغلب على أكثرها الطابع القومي.(١)

---

(١) عقدت المنظمات الإسلامية ندوات بشأن القدس من أهمها المؤتمر الإسلامي الأول في القدس سنة١٩٣١م، ثم مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وكذلك رابطة العالم الإسلامي التي انشئت بسبب حريق المسجد الأقصى سنة١٩٦٩م، ولكن هذه الجهود ضئيلة =

ولذا فإنني أرى أن اليهود إذا كانوا يدافعـون عن حقهم المزعوم تحت ستار الدين فإنه من الواجب علينا أن نجعل قضيـة القدس وفلسطين قضية دينية ندافع عنها بعقديتنا.

وإذا كـان اليـهود يعتـمـدون على نصـوص عندهم تزعم أن لهم أرضـاً، ويعتـمـدون على أحـداث تاريخيـة تزعم أن لهم وطناً، فـدعـواهم ليست لهـا نصوص مقدسة ولا تعتمد على أي دليل تاريخي.

وإنما نحن المسلمين عندنا نصـوص مقدسـة، على قداسـتها دليل وإجـماع تاريخي؛ ونحن المسلمين نملك الصلة المتصلة، والدليل والبرهان القوي، ونملك التاريخ الإيجابي لأحداث التاريخ، واليهود في العـصر الحاضر يروجون لإقامة دولتهم تحت ادعاء أن لهم حقوقاً دينية وتاريخية في فلسطين.

أولاً - الحق الديني: يزعـم اليـهـود أن الله وعـدهم بهـذه الأرض على ألسنة أنبيائهم ويركـزون على فقرات من العهد القديم ذكر فـيها الوعد بالأرض لإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ولنسلهم من بعدهم.

ثانياً - الحق التاريخي: يزعم اليهود أنهم في فلسطين أقاموا وكانت لهم مملكة كـبيـرة هي مملكة داود وسليـمـان ولذا فهم يعـودون إلى أرضـهـم لإقامـة مملكتهم الماضية.

وتأتي هذه الدراسـة لترد على الإدعـاء الأول وهو الحق الـديني أمـلاً أن يوفقني الله في دراسة أخرى أرد بها على الإدعاء التاريخي.

وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثـة محاور :-

المحور الأول: عرضت فيه لحقيقة الوعـد لأنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

المحور الثاني: الوعد لنبي الله موسى عليه السلام.

وهذان المحوران أعرض لهـما من خلال نصوص العـهد القديم التي ذكرت هذه الوعود.

= بل تكاد تكون معدومة بعد مفاوضات السلام.

مدخل :

بداية أرى أنه لابد وأن نفصل بين وعدين:

أولاً ، لوعد بالأرض لإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام الذي وردت نصوصه في العهد القديم.

ثانياً ، الوعد بالأرض الذي وعد به موسى عليه السلام، وذلك لأن آيات سورة المائدة التي ورد فيها الأمر بدخول الأرض المقدسة قد جعلت كثيراً من المسلمين يقرون بصحة الوعد الأول لإبراهيم عليه السلام.

* * *



الوعد لنبي الله إبراهيم وبنيه

درج المؤرخون قديماً وحديثاً أن يبدأوا الحديث عن الوجود العبري في فلسطين بعبور نبي الله إبراهيم عليه السلام الفرات.

وتلك مغالطة تاريخية فبداية التاريخ للوجود العبري في فلسطين بعبور نبي الله إبراهيم مرجعه كتاب العهد القديم الذين أرادوا أن يجعلوا أنفسهم حجر الزاوية في كل عصر وسيدنا إبراهيم عليه السلام ليس جداً لليهود فقط، وإنما هو جد لهم وللعرب أيضاً. ولذا فإن محاولة اليهود الاستئثار بسيدنا إبراهيم مغالطة تاريخية وصدق الله إذ يقول: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن

كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[1]

والذي نعلمه من قرآننا أن الله سبحانه اتخذ نبيه إبراهيم خليلاً وجعله إماماً للناس وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

ولكن كتاب العهد القديم لحرصهم على الحياة المادية ينسبون وعوداً بالأرض لنبي الله إبراهيم عليه السلام.

وأول نص يطالعنا في سفر التكوين هو: (واجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم [2] إلى بلوطة مورة [3] وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض [4] وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك اعطى هذه الأرض) [5] ، وهذا النص يذكر الوعد بالأرض لنسل إبراهيم دون تحديد لحدودها.

أما النص الثاني: فيورده كتاب العهد القديم بهذه العبارات «وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد. قم إمش في الأرض طولها وعرضها لأني لك اعطيها فنقل إبرام خيامه وأتى عند بلوطات ممرا[6] التي في حبرون[7] بني هناك مذبحاً

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٢) شكيم اسم مدينة قديمة وهي مدينة نابلس الحالية. قاموس الكتاب المقدس، ص٥١٤ ، ٥١٥.

(٣) بلوطه مورة : اسم كنعاني معناه بلوطة المعلم، وهو موضع بقرب شكيم (نابلس) . قاموس الكتاب المقدس ص٩٣٠.

(٤) إن نصوص العهد القديم تثبت أن الكنعانيين العرب كانوا قبل نبي الله إبراهيم في هذه البلاد ، وحينما دخل اليهود فلسطين كانوا يلقبون بالعبريين وفي هذه التسمية التي علقت باليهود ، وحملوها معهم أول دخولهم فلسطين دليل قاطع لا يرقى إليه الشك على أنهم غرباء دخلاء، وعلى هذا فإن الاسم الذي تسمى به اليهود وقت أن جاءوا إلى هذه البلاد التي تقوم عليها فكرة الوطن القومي يدحض دعواهم . **انظر**: د.حسن صبري الخولي سياسة الاستعمار الصهيوني تجاه فلسطين ج١ص٣٩.

(٥) سفر التكوين (١٢/٦ ، ٧).

(٦) بلوطات ممرا: موقع يقع شمال مدينة الخليل بميل ونصف. انظر قاموس الكتاب المقدس ص٩٢٤.

للرب»[1].

وهذا النص نلمح من خلاله مايلي:

أ - أن الأرض التي وعد بها إبراهيم عليه السلام محدودة بحدود رؤيته أو تجواله فيها،

ب - تأييد العهد بالأرض لإبراهيم عليه السلام ونسله.

ج - كثرة نسل إبراهيم عليه السلام حتى يصعب إحصاؤه.

أما النص الثالث فيورد كتاب العهد القديم أن الله ظهر لإبراهيم عليه السلام وقال له: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين[2] ليعطيك هذه الأرض لترثها»[3].

وهذا النص ليس فيه شيء إلا أن الله يمتن على إبراهيم عليه السلام بأنه أخرجه من بلاده وأسكنه في أرض فلسطين ليرث هذه الأرض.

ثم يأتي النص الرابع في قول كتاب العهد القديم «قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك اعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[4]

وهذا النص نلمح منه مايلي:

أ - أن الوعد بالأرض قد تجاوز كونه وعداً ليصبح ميثاقاً.

ب - هذا النص حدد حدود أرض الميعاد بأنها من نهر مصر إلى نهر الفرات.[5]

---

(٧) حبرون: هي مدينة الخليل، وهي من أقدم المدن في العالم، تقع على بعد ١٩ ميلاً من الجنوب الغربي من القدس. قاموس الكتاب المقدس ص٢٨٧.

(١) سفر التكوين(١٣/ ١٨: ١٤).

(٢) أور الكلدانيين : بلاد العراق.

(٣) سفر التكوين: (١٥/ ٧).

(٤) سفر التكوين : (١٥/ ٨).

(٥) في عام ١٩٤٧م قدم الحاخام «فيشمان» عضو الوكالة اليهودية إلى لجنة التحقيق الدولية التي شكلتها هيئة الأمم المتحدة خريطة زعم أنه استمدها من مشروع هرتزل ووعود التوراه لأبعاد الدولة اليهودية التي تبدأ تخومها من مدينة الاسكندرية وتحيط بالدلتا من الغرب ثم =

أما النص الخامس فقد أورده كتاب العهد القديم بأن الله خاطب إبراهيم قائلاً له: «وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان[1] ملكاً أبدياً وأكون إلههم»[2].

وفي هذا النص مايلي:

أ - أن الوعد أبدي في الأجيال المتعاقبة.

ب - أن الوعد قد حدد الأرض بأنها أرض كنعان فقط.

الوعد لنبي الله إسحاق عليه السلام:

ورث إسحاق عليه السلام النبوة، ولكن كتاب العهد القديم لا يرتضون ميراث النبوة فحسب، وذلك لخلوه من الربح المادي الذي يجهدون أنفسهم في سبيل تحصيله، فيجعلون الميراث ميراث أرض، ومن ثم انتقل الوعد عندهم من إبراهيم إلى إسحاق عليهما السلام ويقصرون الوعد على إسحاق دون أخيه البكر إسماعيل عليهما السلام حتى لايكون لأحد حق في أرض الميعاد سواهم جاء في العهد القديم: «قال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله بل سارة امرأتك تلد لكابنا وتدعو اسمه إسحاق واقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده»[3].

= تنحدر من مجرى النيل جنوباً بطول ضفته الشرقية حتى نهاية الحدود المصرية ومنها تتجه شرقاً في خط مستقيم ينتهي بمصب نهر الفرات ثم تصعد مع مجراه حتى تلتقي بالحدود التركية حيث تنعطف غرباً بمحاذاة الحدود السورية حتى البحر الأبيض المتوسط، وبذلك فإن الدولة اليهودية المقترحة من هذا الحاخام، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، تمتد لتشمل إقليم الدلتا والحوض الشرقي لنهر النيل والصحراء الشرقية وسيناء من مصر والشطر الشمالي من شبه الجزيرة العربية والشطر الغربي من العراق ثم تستوعب بادية الشام والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان. **انظر**: إسماعيل الكيلاني: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص٦٦ ، ٦٧.

(١) أرض كنعان: هي الأرض التي سكنها ذرية كنعان، وأطلق عليها العبرانيون بعد دخولهم إليها اسم أرض إسرائيل والأرض المقدسة وأرض الموعد وأرض العبرانيين.

(٢) سفر التكوين: (٨/١٧ ، ٩).

(٣) سفر التكوين: (١٨/١٧ ، ١٩).

وهذا النص يوضح:

أ - أن الوعد بالأرض قد تم لإسحاق عليه السلام قبل أن يولد.

ب - أن إسماعيل عليه السلام وذريته قد خرجوا من الوعد الذي وعد به إبراهيم عليه السلام مع أنهم من نسله.

ج - أن العهد محصور في ذرية إسحاق وهو عهد أبدي.

د - لم تذكر حدود للأرض التي تحقق فيها الوعد.

أما عن العهد المباشر من الله إلى إسحاق فقد أورده كتاب العهد القديم في قولهم: «وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في عهد إبراهيم فذهب إسحاق إلى «إيمالك» ملك الفلسطينيين على جرار وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك اعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء واعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض[1].

وهذا هو النص الوحيد الذي أورده كتاب العهد القديم عن الوعد بالأرض لنبي الله إسحاق عليه السلام.

ومنه تتضح عدة أمور منها:

أ - أن مصر قد خرجت من حدود أرض الميعاد لأنه منع من نزولها.

ب - أن الوعد بالأرض قد انتقل من مرحلة الوعد والميثاق إلى مرحلة أخرى لتاكيده وهي مرحلة القسم.

ج - أن بركة جميع الأمم لا تكون إلا في نسل إسحاق عليه السلام.

نبي الله يعقوب عليه السلام:

سيدنا يعقوب هو نبي الله إسرائيل الذي يزعم اليهود الانتساب إليه في

---

(١) سفر التكوين: (٢٦/ ١: ٥).

العصر الحاضر ويسمون دولتهم باسمه. وكلمة إسرائيل مكونة من مقطعين: «إسرا» ومعناها «عبد». و«ائيل» ومعناها «الله» أي: «عبدالله» ويذكر كتاب العهد القديم قصة خرافية سبباً لتلك التسمية أن يعقوب ظهر له الله وصارعه حتى غلبه وقال لا أتركك حتي تباركني فقال لا يكون اسمك من اليوم يعقوب بل إسرائيل[1].

ومع ادعاء اليهود في العصر الحاضر انتسابهم إليه وتسمية دولتهم باسمه فإني أعجب أشد العجب مما وصف به كتاب العهد القديم نبي الله يعقوب فلقد وصفوه بصفات يتنزه عنها الإنسان العادي فما بالنا بنبي معصوم، ومن هذه الصفات:

١ - أن رسالته قائمة على الغش والخداع والحقد فلقد حقد على أخيه عيسو وخدع أباه حتى باركه قبل أخيه.[2]

٢ - أن يعقوب تزوج بينتي خاله ليئه وراحيل وأن الأخيرة سرقت أصنام أبيها وخبأتها تحت مقعدها أثناء رحيلها مع زوجها.[3]

٣ - أن رأوبين ابن يعقوب البكر زنى ببلهة زوجة أبيه وأم أخويه دان ونفتالي، وشاع هذا الخبر حتى سمعه يعقوب[4].

وبعد هذه الصورة الهزلية التي ذكرها كتاب العهد القديم لنبي الله يعقوب عليه السلام يذكرون أن الله قد وعده هو وذريته من بعده أرض الميعاد.

وأول نص في هذا أوردوه على لسان إسحاق مخاطباً يعقوب عليهما السلام قائلاً له: «والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم»[5].

---

(١) سفر التكوين: ١ صحاح ٣٢ بتصرف.
(٢) سفر التكوين: الاصحاح ٢٧.
(٣) سفر التكوين: (٣١/ ٢١)
(٤) سفر التكوين: (٣٥/ ٢٣)
(٥) سفر التكوين(٢٨/ ٣: ٥)

وهذا النص يوضح مايلي:

أ - أن بركة إبراهيم ستعطى ليعقوب ونسله.

ب - أن إبراهيم عليه السلام قد أعطى أرض الميعاد.

ج - أن حدود أرض الميعاد هي أرض غربة يعقوب أي المكان الذي يعيش فيه.

ثم يذكر كتاب العهد القديم أن الله وعد يعقوب بأرض الميعاد ويوردون ذلك في نصين:

الأول : جاء في رؤيا منامية حيث يقول كتاب العهد القديم: «خرج يعقوب من بئر سبع[1] وذهب نحو حاران[2] وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضجع في ذلك المكان ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق الأرض التي أنت مضجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض»[3].

وهذا النص يوضح مايلي:

أ - أن الوعد جاء في رؤيا منامية رآها يعقوب عليه السلام، ولكنها رؤية على هيئة الإسطورة؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ب - أن الوعد قد حدد أرض الميعاد بالأرض التي اضجع عليها يعقوب عليه السلام.

---

(١) بئر سبع : مدينة معروفة بفلسطين وسميت بذلك بسبب اعطاء إبراهيم سبع نعاج لا بيالك شهادة على حفره إياها، واطلق اسم البئر على المدينة التي نشأت حولها(قاموس الكتاب المقدس ص١٥٠)

(٢) حاران: تقع على بعد ٢٨٠ ميلاً من دمشق، وهي الآن قرية صغيرة تسمى بـ : حران.

(٣) سفر التكوين: (٢٨/ ١٠ : ٥).

ج - كثرة النسل ليتبارك جميع أمم الأرض.

الثاني: أورده كتاب العهد القديم في قولهم:

«وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام[1] وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل وقال له الله: أنا الله القدير أثمر واكثر جماعة أمم تكون منك وملوك يخرجون من صلبك والأرض التي اعطيت إبراهيم وإسحاق لك اعطيها ولنسلك من بعدك اعطي الأرض[2].

ومن هذا النص نلمح مايلي:

أ - أن الوعد بالأرض قد جاء في رؤيا مباشرة من يعقوب لله.

ب - تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل.

ج - أن يعقوب يرث الأرض التي اعطيت لإبراهيم وإسحاق عليهم السلام وأن نسل يعقوب سوف يعطون الأرض.

تأثر اليهود وغيرهم بتلك العهود:

يعتمد ساسة إسرائيل على نصوص العهد القديم في المطالبة بحقهم في أرض الميعاد وهاك بعض أقوالهم يقول: «حاييم وايزمان»: (إن مبنى حق اليهود في فلسطين إنما هو وعد الله لهم بأرض إسرائيل)[3]

ومن أقوال ابن غوريون: (إن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بال ولا بوعد بلفور ولا بقرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨م، ولكنها بدأت يوم وعد الله أبانا إبراهيم وعده)[4] ثم عرف ابن غوريون الدولة اليهودية بعد أن أعلن استقلالها فقال: (إن دولة إسرائيل هي ذلك المكان الذي ولد فيه الشعب

---

(١) فدان آرام: اسم سامي معناه سهل آرام يطلق على موقع. قاموس الكتاب المقدس، ص٦٧٢

(٢) سفر التكوين: (٣٥/٩: ١٢)

(٣) إسماعيل الكيلاني: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص١٠١, ١٠٢.

(٤) المرجع نفسه، ص١٠٢

اليـهودي، وإن أرض إسـرائيل هي العـهـد الذي تكونت الخـصائـص الروحيـة والدينية والقـومية للشـعب اليهودي في تلك الأرض كـتبت التوراة التي قدمـها الإله هدية إلى الإنسـانـية وفـي تلك الأرض تكونت الحـضـارة اليـهـودية ذات الطابع القـومي العـالمي في آن واحـد . . . إن اليـهود لا يعـودون إلى أرضـهم فـاتحين وإنما يعودون إلى الأرض الموعـودة من أجل صـالح الإنسانيـة!!! نحن اليهـود وقد أعيدت إلينا حـقوقنا سوف نظل أوفـياء إلى وظيفتنا الإنسـانية التي كانت وسوف تظل وظيفة شعب التوراة.[١]

أما جولدا مائير، فقد قالت: «وجد هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته ولهذا لا يصح أن نسأله أيضاحاً عن شرعية ذلك الوجود»[٢]

وصـرح مناحم بيـجن في أوسلو سنة ١٩٧٨م بقـولـه: «لقـد وعـدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها»[٣]

وفي تصريح لموشى ديان سنة ١٩٦٧م قـال: «إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنـفسنا شعب التوراه فيجب أن تكون لنا أرض التـوراة بلاد القضاة أرض أورشليم[٤] «القدس» وحبرون «الخليل» - أريحا وأماكن أخرى»[٥]

وعندما زار بابا الـفاتيكان كنيس اليهـود في روما قـال حاخام رومـا (إيليو طواف): «إن عـودة اليـهـود لأرض الميـعـاد حـق يجب الاعـتـراف به كـمـا أن الاعتراف بإسـرائيل يعزز دورها الذي لا خلاف عليه بأنهـا الخلاص الذي وعد به الرب وهي مسألة لا تقبل الإنكار»[٦]

وفي الأحداث الأخيرة الجارية بشأن مدينة الخليل قال «نعوم أرنون» الناطق بلسـان المستـوطنين اليـهـود في مدينة الخلـيل: «في الخليل اشتـرى الجـد الأكبـر

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٧.
(٢) روجيه جاوردي ، ملف إسرائيل ، ص٨٢.
(٣) المرجع نفسه، ص٨٢.
(٤) أورشليم : اسم مدينة القدس في العهد القديم.
(٥) إسماعيل الكيلاني الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ، ص٦٨.
(٦) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

إبراهيم مساحة لمدفن العائلة ولم يقصد السيطرة على المدينة، وبذلك أوجد الحق لليهود بالقدوم إليها ويجب الا يتخلو عنها»[1].

وهكذا تتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهيونيين الإسرائيلين نفس العبارات سواء كانوا من اليمين أو من اليسار أعضاء في حزب العمال أو في كتلة «ليكود» ناطقين باسم الجيش أو باسم الحاخامية وتتردد على ألسنتهم جميعاً أدلة أو ذرائع من التوراة يقيمون على أساسها أية مطالبة بالأرض أي يستندون إلى«حق إلهي» في ملكيتهم لفلسطين ويجري كل شيء كما لو كان في الأمر أمر استعراض لعقد هبة وقعها الرب تبيح لهم حق تجريد كل من يعيش في فلسطين من أرضه ليضعوا هم يدهم عليها»[2]

وإدعاء أن الوعد الإلهي بالأرض حقيقة ليس خاصاً باليهود فحسب بل إن العالم الغربي المسيحي يقف خلف إسرائيل انطلاقاً من فكرة وعد الرب بأرض الميعاد.

ويحاول دعاة التنوير في عالمنا العربي ان يصوروا لنا أن العالم الغربي ينطلق من فكر علماني بعيد كل البعد عن العقيدة الدينية، ولكن في الحقيقة إن ثقافة الغرب وفكره ينطلقان من العقيدة الدينية النصرانية، ولعل ما في كتاب الخلفية التوارتية للموقف الأمريكي لإسماعيل الكيلاني وكتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي للدكتور يوسف الحسن ما يوضح ذلك بجلاء تام، وأيضاً، في «إحصائية أجراها معهد جالوب، ونشرتها الواشنطن بوست ٢٦/ ١٢/ ١٩٨٣م أثبت أن ستين بالمائة من الأمريكيين يهتمون اهتماماً كبيراً بالدين وأن اثنين وأربعين بالمائة منهم يداومون على الصلاة في الكنائس بانتظام وأن ستة وعشرين بالمائة منهم عاكفون على دراسة الكتاب المقدس، كما قرر أكثر من ثلث الأمريكيين أن قراراتهم السياسية تتأثر بمعتقداتهم الدينية وجاء في الإحصائية أن الأمريكان قرروا بنسبة اثنين إلى واحد أن الدين هو الذي يحمل الجواب على مشاكل العالم المعاصر[3] وتدين

(١) نقلاً عن جريدة الشرق القطرية، عدد الأربعاء ٢٠/١١/١٩٩٦م.

(٢) روجيه جارودي، ملف إسرائيل ، ص٨٢، ٨٣.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٤٩.

الغـرب أو إلحاده ليس ذا مـغزى مـعنا ، ولكن ما أريد أن أثبـته هنا مـدى تأثر الغرب المسيحي بوعود العهد القديم لقـد كان تأثر الغرب المسيحي بوعود العهد القديم كبيراً جداً وظهر ذلك بـجلاء منذ بداية التواجد اليهودي في فلسطين في العصر الحديث وحتى الآن.

ومن أمثلةهذا التأثرمايلي:

١ - بلفور -وزير خـارجية بريطانيـا أثناء الحرب العالميـة الأولى- صاحب الوعد المشئوم، كان وعده نابعـاً من إيمانه بوعود التوراة أكد ذلك «وايزمان» في مذكـراته حيث يقول: «أتظنون أن لورد بلفـور كان يحابينا عندمـا منحنا الوعد بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين؟ كلا ، إن الرجل كـان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم»[١].

وتؤكـد ذلك أيضاً ابنة أخيـه ومؤرخـة حيـاته حيـث تقول: «لقـد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية»[٢]

٢ - كـان لوعـود التوراة أثـرها في نفـوس أعضـاء الكونجـرس الأمـريكي الذين وافقوا على وعد بلفور فـقد «كان تأييد الوعد عالياً ومتسـقاً بدرجة لافته للنظر وأن الجميع وقتها أعلنوا موافـقتهم على وعد بلفور وتأييدهم له سواء في ذلك منهم من كـان جـمهـورياً أو ديمقـراطيـاً، ويذكـر أن كثـيـرين من النواب والشيـوخ استندوا بقوة في ردودهم إلى مـا استحـضروه من صور توراتيـة وما استـشهدوا بـه من أقوال الأنبيـاء في العهـد القديم وساقـوا النبوءات التـوراتية تدليلاً على أنه من المقـتضى به إلهياً أن يـصبح اليهود الشـعب الحاكم لفلسطين في حين دعـا آخرون منهم إلى الـتعـجيل بإنشـاء الدولة اليـهودية وأعـربوا عن رغبـتهم في أن تهب الحكومة الأمريكـية فتتـخذ من الإجراءات ما يكفل تنفـيذ الوعد المذكور»[٣].

---

(١) نقلاً عن المرجع نفسه، ص١٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٧.

٣ - نظراً لإيمان البروتستانت بحرفية نصوص العهد القديم فهم يبتهلون إلى الله في صلواتهم يطلبون تحقيق وعد الله بأن تكون فلسطين خالصة لليهود تذكر ذلك (جريس هالسل) صاحبة كتاب «النبوءة والسياسة» حيث تقول: «الذي وجدته في واشنطن أن المسيحيين وكثرة منهم أناس يشغلون مناصب عليا في الإدارة الأمريكية يصلون لله على مدار النهار . متعجلين مجيء اليوم الذي لا يعود للفلسطينيين فيه وجود على أرضهم حتى تصبح تلك الأرض ملكاً خالصاً لليهود. ووجدت أن أولئك المسيحيين الأتقياء يهبون ليصلوا صلواتهم هذه التي لا يصلونها من أجل البشر في كل مكان أو من أجل أن يحل السلام على الأرض أو من أجل الفقراء والجياع والمشردين والمحرومين بل من أجل الأرض. الأرض التي يملكها الفلسطينيون الآن والتي يتضرعون في صلواتهم إلى الله أن يأخذها من الفلسطينيين ويضعها في أيدي اليهود الإسرائيليين»[١].

٤ - استمد الكاتب الفرنسي الكاثوليكي جاك ماريتان من نصوص الوعد أقواله التي يقول فيها: «فلسطين هي الأرض الوحيدة التي ثبت ثبوتاً مطلقاً وثبوتاً إلهياً أنها لشعب معين حقاً لا ينازع فيها»[٢]

٥ - ويعتبر الرئيس الأمريكي «ولسون[٣]» أحد الرؤساء الأكثر تأثراً بالصهيونية، فقد نشأ في بيئة دينية إذ كان ابن أحد رجال الكنيسة الإنجيلية المسيحية، وبدا من خلال بعض خطبه يرى نفسه أنه قد اعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبة الرب بتحقيقه البرنامج الصهيوني وأنه يتوجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادراً على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة إلى شعبها اليهودي[٤].

كما تكون لدى العامة أيضاً الإيمان بفكرة الوعد وأنها حقيقة يقول: «أ. سي فورست»: «سمعت بنفسي امرأة كندية تقول لست أبالي بما يقولون فقد ورد في

---

(١) نقلاً عن كتاب الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص٤٠.
(٢) د. يوسف الحسن : البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص٤٥.
(٣) هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من الحزب الديمقراطي، أثناء الحرب العالمية الأولى.
(٤) المرجع نفسه، ص٤٥.

التوراة أن الرب وعد باعطاء هذه البلاد لليهود وهذا يكفيني».[1]

أما على محيط عالمنا العربي، فإن إقرار المعاهدات السياسية بين العرب وإسرائيل والاعتراف بالدولة اليهودية لهو إقرار من العرب بادعاء اليهود بحقهم في أرض الميعاد.

بل وأكثر من ذلك أن بعضاً من الساسة يطلقون على اليهود أبناء العم وأبناء العمومة يعيشون في مكان واحد متعاونين مسالمين.

وقضية خطيرة أعرضها في نطاق البحث هنا:

في مدينة مأدبا الأثرية بالمملكة الأردنية، وفي داخل إحدى كنائسها الأثرية توجد خريطة منحوتة على أرضية الكنيسة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، توضح رسماً جغرافياً لأرض الميعاد بحدودها المعروفة من النيل إلى الفرات؛ وعند زيارتي لهذا الأثر التاريخي، كان سؤالي لراعي تلك الكنيسة هل هذه الخريطة لأرض الميعاد التي يحلم بها اليهود؛ فكانت اجابته حسب معتقده إن الوعد ليس بوعد أرض لليهود، وإنما الوعد بأن الرب سوف يحقق في هذه الأرض مشيئته بالخلاص أي خلاص العالم من الذنوب بصلب السيد المسيح؟!

أقول: ليعتقد الراعي ما يعتقد حول الوعد، ولكن هذا المكان يرتاده من السياح الأوربيين جمع غفير، وهؤلاء بلا شك عند رؤيتهم لخريطة أرض الميعاد سوف يستقر في رؤسهم فكرة الوعد الإلهى بأرض الميعاد لليهود التي يقرأونها في العهد القديم.

فانظروا إلى أي مدى نخدم فكرة اليهود بأرض الميعاد من أجل دنانير معدودة تجبى من السائحين !!

وفي المقابل اذكر قولاً لموشى ديان قال فيه: «في يوم من الأيام من الممكن أن أتصور فلسطينياً طياراً في جيش الدفاع الإسرائيلي، وفي اعتقادي

(١) الخلفية التوراتية، ص١٥٠

يوجد فلسطينيون يبيعون أنفسهم، ولكن لا أتخيل أبداً فلسطينياً في دولة إسرائيل مرشداً سياحياً»[1]. والسياحة في عالمنا المعاصر لها دور كبير في إبراز الهوية وحضارة الدولة، وقد استغلت السياحة في عالمنا العربي اسوأ استغلال فأبيحت بسببها المحرمات وقبل في سبيل رواجها كثير من المغالطات.

وبعد أن ذكرت نصوص الوعد التي كتبها كتاب العهد القديم، وذكرت بعضاً من آثارها في مفهوم اليهود والأوربيين في عالمنا المعاصر، كان ولابد أن أناقش مرويات العهد القديم التاريخية من أجل بيان حقيقة الوعد صدقاً أو كذباً.

مرويات العهد القديم التاريخية:

إن القرآن الكريم قد طعن في سند الكتاب المقدس بأسلوب إجمالي، وهو ما نبه المسلمين الأولين إلى موضوع السند وفقدان أهله لشرطي العدل والتواتر، كما نبه المسلمين إلى ما أصاب المتن من زيادة ونقصان، وهذان الاتجاهان هما أساس كل دراسة نقدية للكتاب المقدس في الشرق والغرب[2].

ومرويات العهد القديم التاريخية نالت جانباً كبيراً من النقد، وكان لعلمائنا المسلمين فضل السبق في نقد المرويات التاريخية للعهد القديم، ومن أشهر من قام بذلك الإمام ابن حزم الأندلسي، في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ والعلامة رحمه الله الهندي في كتابه إظهار الحق.

وفي الغرب ظهرت كتابات متعددة بشأن نقد النواحي التاريخية للعهد القديم كان من آخرها الدراسة التي قام بها الدكتور توماس طومسون أستاذ علم اللاهوت في جامعة كوبنهاجن بالدنمارك سنة١٩٩٢م، والتي على أثرها تم فصله من الجامعة، والدكتور «طومسون» يرى أن التوراة ليست كتاب تاريخ إنها مجرد مرويات، وقد كتبت بعد فترة طويلة من الأحداث التي تؤرخ لها

(١) نقلاً عن: ندوة يوم القدس، الخامسة ، ص٣٥٢.

(٢) د. بكر زكي عوض: أثر القرآن في الدراسات النقدية للكتاب المقدس : بحث منشور بالعدد الثامن، ص٦٦٢ من حولية كلية الشريعة بجامعة قطر، ١٩٩٠م.

تمتد ما بين سنة ١٥٠٠: ٥٠٠ ق.م.

ولـذلك يـرى :

١ - أن كتـاب العهد القـديم أي التوراة لم يكن تاريخـياً تحول إلى خـيال بل خيال تحول إلى حقيقة[١].

٢ - أن النصوص التوراتية نموذج أدبي مصطنع خلال الحقبة الفارسية[٢].

٣ - أن هذه المرويات أعيد تكييـفها مع العالم الفارسي أخلاقيـاً ومذهبياً، وأن المضمـون التاريخي لهذه المجـموعات ذات الدوافع الأيديولوجـية لـم يكن الماضي أبداً بل الحاجات المعاصرة[٣].

وبناء على ذلك فإنه يرفـض اطروحات التوراة التاريـخية، ويرى الاعتـماد بدلاً منها على الحفريات والآثار.

ولكن الحفريات لا يمكن الاعـتماد عليها وحدها، ولذا فإنـني اختلف معه في بعض النتائج الـتي توصل إليها مـثل إنكاره لخروج بني إسرائيل من مـصر، وقـيام مملكة داود وسليـمان في فلسـطين فـبعيـداً عن الحفـريات قد ثبتت هذه الحوادث التاريخية في نصوص مقدسة عندنا نحن المسلمين.

ولذا أذهب في بحـثي لحقـيقـة الوعد إلى الـتسليم بمرويات العـهد القـديم التاريخية ومناقـشتها في ضوء نصوص أخرى من العهـد القديم نفسه، والواقع التاريخي للوصول إلى النتـيجة التي أريد بيانها وقـبل طرح هذه النصوص تبدو تساؤلات متعددة:

إذا سلمنا جدلاً بصحة الوعد؟ فهل نسلم بخصوصيته لأولاد إسحاق فقط وخروج أولاد إسماعيل منه؟!

مع أن إسـماعـيل هوالابن الأكـبـر لنبي الله إبراهيم عليـه السـلام، ولكن اليهود تحول العهد لديهم ليكون في صالحهم.

(١) انظر التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي. ص١٤.

(٢) انظر المرجع نفسه، ص٢٣١.

(٣) انظر المرجع نفسه، ص٢٦٢.

يقول الأستاذ العقاد: تحولت العهود الإلهية في كتبهم تحولاً جديداً مع مصالح السياسة، فقد كان الوعد لإبراهيم وحولوه إلى إسحاق ليخرجوا منه أبناء إسماعيل، ثم حولوه إلى يعقوب ليحصروه في سلالة يعقوب، ثم حولوه إلى ذرية داود ليحصروه في مملكة الجنوب دون مملكة الشمال وهكذا كان وعد صهيون وعداً سياسياً تابعاً لمآرب الدولة ومآرب الهيكل الذي يقام في جوارها فلا شأن له بالعقيدة التي تنظم جميع سلالة إبراهيم[1].

وإذا سلمنا جدلاً بصحة الوعد فهل يهود اليوم هم من نسل يعقوب حقاً الوارثين لوعده؟؟

يقول الدكتور«جون كومس» إن الحقائق المبنية على علم الإنسان تبرهن على أن اليهود مختلفوا الصفات عرقياً وعلى أنه لا أساس للإدعاء القائل بأن هناك جنساً يهودياً[2].

وقال توماس كيرتان: «الصهيونيون أوربيون تماماً وليس هناك أي رابطة بيولوجية أو انترويبولوجية بين يهود أوروبا والقبائل العبرية الحديثة»[3]

وفي المقابل يذكر «ماكسيم رودنسون» وهو يهودي أنه: «من المرجح جداً أن سكان فلسطين الذين يطلق عليهم عرب فلسطين قوم تجرى في عروقهم دماء من قدماء العبريين أكثر مما تجري في عروق يهود الشتات»[4].

ولذا يقول «ر. ن سليمان»: «إن نقاء الجنس اليهودي أمر خيالي إذ أننا نجد بينهم أكبر عدد من الأصناف العرقية المتمايزة التي تتراوح فيما يتعلق بشكل الجمجمة فقط بين الجمجمة ذات الجبهة العريضة، وبين الرأس المستطيل، أما في ألمانيا وروسيا على وجه الخصوص فهناك يهود لا يتمتعون بأي صفة من صفات الساميين على الاطلاق»[5].

---

(١) الصهيونية العالمية، ص١٢.

(٢) الخلفية التوراتية .

(٣) ملف إسرائيل، ص٥٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٥) الخلفية التوراتية، ص١٣٠.

ومنه يتضح كما يقول«م فشبيرج»: «إن ادعاءات اليهود بالنقاء السلالي لهي ادعاءات عقيمة لا أساس لها، وهي في هذا تشبه المزاعم القائلة بوجود اختلاف بين اليهود وبين الجنس الآري المزعوم الذي بنيت عليه مشاعر العداء للسامية»[١].

وعليه، فمن أي منطلق يعتبر يهود الفلاشا والخزر هم أصحاب الوعد بأرض الميعاد مع حرمان العرب في فلسطين من حقهم فيها.

وإذا سلمنا جدلاً بصحة الوعد فهل الوعد مؤبد ودائم لليهود بامتلاك أرض الميعاد؟

إن السبب في ذلك يرجع إلى ترجمتهم لفظ «عولام» وهي لا تعني الأبدية المتصلة، وإنما وقتاً في المستقبل كما جاء في سفر يشوع «وأحرق يشوع عاي وجعلها تلا أبدياً خراباً إلى هذا اليوم»[٢] وعاي أعيد بناؤها بعد عودة اليهود من بابل [٣] . ولذا فإن معنى التأبيد هو فترة تكون في المستقبل.

وبعد هذه التساؤلات أعود إلى الطرح الذي أريده من خلال هذه الدراسة.

وقبل طرح نصوص العهد القديم التي تناقض فكرة الوعد يبدو سؤال يطرح نفسه: هل يمكن لأي مجموعة بشرية كائنة ما كانت أن تفرض على شعوب أخرى كقاعدة لوجودها مبدأ لا يقوم إلا على إيمان تلك المجموعة البشرية بسنتها التقليدية؟ [٤] أو بمعنى آخر هل يجوز لجماعة من البشر فرض أوهامها وتخيلاتها على الآخرين؟ ومطالبة الآخرين بتصديق تلك الأوهام والتخيلات والإذعان لها؟

لنترك ذلك جانباً ونعود إلى نصوص العهد القديم لنتعرف من خلاله هل تحقق الوعد لأصحابه أم لا؟

---

(١) الخلفية التوراتية، ص١٣١.

(٢) سفر يشوع: (٨/٢٨).

(٣) انظر: سفر عزرا: (٢/٢٨).

(٤) روجيه جارودي: ملف إسرائيل، ص٨٨.

أولاً : نبي الله إبراهيم :

١ - لم يذكر العهد القديم أن إبراهيم عليه السلام ملك أرض كنعان أو دانت له تلك البلاد. بل كل ما ذكره العهد القديم عن إبراهيم عليه السلام «أنه مات بشيبة صالحة».

٢ - أن العهد القديم يذكر أنه عند وفاة «سارة» زوجة إبراهيم عليه السلام لم يجد مكاناً ليدفنها فيه فذهب إلى بني حث يتوسل إليهم أن يبيعوا له مكاناً من الأرض ليدفن فيه زوجته فباعوه حقل عفرون بغارة المكفيلة [1] مقابل أربعمائة شاقل وقد عرض بنو حث الحقل هبة لإبراهيم عليه السلام ولكنه أصر على دفع ثمنه، واذكر النص من العهد القديم لأعلق عليه، يقول كتاب العهد القديم: «ماتت سارة في قرية أربع[2] التي في حبرون[3] في أرض كنعان، فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلاً أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر لأدفن ميتي من أمامي فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له اسمعنا ياسيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث وكلمهم قائلاً إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر، وكان عفرون جالساً بين بني حث فأجاب عفرون الحثي لإبراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين مدينته قائلاً : لا ياسيدي، اسمعني الحقل وهبتك إياه والمغارة التي فيه لك وهبتها لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها ادفن ميتك فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلاً: بل إن كنت أنت إياه فليتك تسمعني أعطيك ثمن الحقل خذ مني فأدفن

(١) حقل عفرون: كلمة حقل تستخدم في الكتاب المقدس للدلالة على أرض غير مسورة ؛ وعفرون: هو عفرون بن صوحر، كان يقيم في الخليل . قاموس الكتاب المقدس ، ص٣١٣.

(٢) أربع: اسم كنعاني معناه أربعه وهو أبوعناق، وقد تسمت قرية أربع باسمه. قاموس الكتاب المقدس ص٤٥.

(٣) حبرون : الخليل.

ميتي هنـاك فأجاب عفرون إبراهيم قـائلاً له ياسيدي اسمـعني أرض بأربع مائة شاقل فـضه ما هي بيني وبيـنك فادفن ميـتك، فسمع إبراهيم لعـفرون، ووزن إبراهيم لعفـرون الفضة التي ذكرها في مـسامع بني حث أربع مائة شاقـل فضة جائزة عند التـجار. فـوجب حقل عفـرون الذي في المكفيلة أمـام ممرا ، الحقل والمغارة التي فيه وجميع الشجـر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه لإبراهيم ملكاً لدى عيون بني حث ين جميع الداخلين باب مدينته، وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امـرأته في مغارة حـقل المكفيلة أمام ممرا التي في حـبرون في أرض كنعـان فوجب الحـقل والمغـارة التي فـيه لإبراهيم ملك قـبـر من عند بني حث[1].

ويقراءة هذا النص تتضح عدة أمور منها :

أ - أن إبراهيم كان ضيفاً على بني حث ونزيلاً عندهم.

ب - لم يمتلك من الأرض شيئاً حتى ولا مكان قبر يدفن فيه زوجته.

ج - أن بني حث كانوا يوقنون بنبوته ولذلك عرضوا عليه أن يدفن ميته في أفضل قبورهم.

د - أن النص يبرر خـضوع إبراهيم لبني حث وسـجوده لهم لكي يسمـعوا كلامه ويعطوه قبراً.

هـ - أن إبراهيم أصر على دفع ثمن الحقل ومنه يتضح أمران:

الأول : لو كان هناك وعد بالأرض له مـا دفع ثمناً لبقعة صـغيرة في أرض وعد أنها تكون له.

الثاني : تحت أي حق يقـوم اليـهـود المعـاصـرون بمصـادرة أرض الفلسطينيين لإقامة مستوطناتهم.

و - أن النص يثبت أن الذي كان لإبراهيم عليه السلام من أرض كنعان هو هذا الحقل فقط.

ولذا يقـرر جـارودي: أن إبراهيم أبعـد مايكون عن اعـتـبـار نفسـه مـالكاً لأرض كنعان فـهو يفرط في مجـاملة عفرون الحـثي ببلدة حبرون ليشـتري منه

(١) سفر التكوين، الاصحاح، ٢٣.

أرضاً في المكفيلة ليدفن فيهازوجته سارة[1].

ويذكر بعض الكتاب أن مغارة المكفيلة هي أول مستوطنة عبرية لهؤلاء الغرباء في أرض فلسطين[2] وهذا القول فيه نظر، لأن مغارة المكفيلة لم تكن مستوطنة بالاصطلاح العصري للمستوطنات، وإنما كانت قبوراً خاصة لآل إبراهيم يوارون فيها موتاهم ، وإذا ثبت أنه لم يكن لهم مكان قبر من الأرض فكيف يدعون أن هذه الأرض وعدوا بها وكانت لهم.

ثانياً : نبي الله إسحاق عليه السلام :

حصر كتاب العهد القديم إرث العهد في إسحاق ليخرج منه بنو إسماعيل ومع هذا فهل تحقق الوعد لإسحاق عليه السلام فملك أرض الميعاد ودانت له؟

لم يذكر العهد القديم ما يفيد تلميحاً أو تصريحاً أن نبي الله إسحاق عليه السلام ملك أرض فلسطين ودانت له بل ورد عكس ذلك.

١ - جاء في سفر التكوين «أقام إسحاق في جرار[3] وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن ابيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحاق يلاعب رفقة امرأته فدعا ابيمالك إسحاق وقال إنما هي امرأتك فكيف قلت هي أختي فقال إسحاق لأني قلت لعلي أموت بسببها فقال ابيمالك ما هذا الذي صنعت لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنباً فأوصى ابيمالك جميع الشعب قائلاً : الذي يمس هذا الرجل وامرأته موتاً يموت»[4].

---

(١) ملف إسرائيل: ص٩١.

(٢) انظر: د. محمد بديع شريف: القرآن الكريم والمسجد الأقصى، ص٢٦.

(٣) جرار: اسم عبري معناه جره، وهي آنية خزفية، تطلق على مدينة قديمة شهيرة في جنوب فلسطين ويعين بعض العلماء موقعها الآن على بعد ١٩ ميلاً من الجنوب الغربي لبيت جبرين. قاموس الكتاب المقدس، ص٢٥٤.

(٤) سفر التكوين (٦/٢٦ : ١١).

ويتضح من خلال هذا النص مايلي:-

أ - أنه لم تكن له قوة يحمي بها نفسه وعرضه.

ب - كذبه وهو نبي لأنه أخبر عن رفقه أنها أخته وليست زوجته.

ج - أنه عاش هو وزوجته في حماية ملك الفلسطينيين ابيمالك فلو كان الوعد حقاً لكانت الأرض له وما انتظر حماية من أحد.

٢ - أن سفر التكوين يذكر أن إسحاق عليه السلام طرد من أرض كان يزرعها بجوار ملك الفلسطينيين ابيمالك وذلك لحقدهم عليه وحسدهم له وخوفهم منه[1].

٣ - يذكر العهد القديم أن أهل جرار التي كان يسكن فيها إسحاق عليه السلام ردموا جميع الآبار التي حفرها وكلما حفر بئراً بعد ذلك نازعوه فيها واستولوا عليها منه حتى ترك إسحاق جرار، وذهب إلى بئر سبع [2]، ومما سبق يتضح أن نبي الله إسحاق لم يمتلك أرض الميعاد ولم تكن له قوة فيها فطرد من أرض زرعها ونهبت آبار حفرها.

ثالثاً : نبي الله يعقوب عليه السلام :

مع التناقض الواضح عند كتاب العهد القديم في تناولهم لشخصية نبي الله يعقوب عليه السلام حيث وصفوه بصفات هو براء منه غير أنهم يركزون على أنه قد وعد أرض الميعاد.

فهل ملك يعقوب أرض الميعاد ودانت له..؟!

لنتصفح العهد القديم لنرى كيف يتناقض العهد مع نفسه، وكيف تكذب النصوص بعضها بعضاً، ومن هذا مايلي:

١ - اطلاقهم على نبي الله يعقوب أنه خدع أباه وغشه وهذا مبعد عمن

---

(١) انظر: سفر التكوين: (٢٦/ ١٢: ١٧).

(٢) سفر التكوين (٢٦/ ١٨ : ٢٢).

فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء فكيف من نبي مع أبيه ، وهو نبي أيضاً.

ويترتب على كلامهم هذا :-

أ - اخبارهم ان بركة يعقوب إنما كانت مأخوذة بغش وخداع.

ب - ان الله تعالى أجرى حكمه واعطى نعمته على طريق الغش والخديعة.

ج - ان إسحاق بارك يعقوب إذ خدعه وهو يقصد بتلك البركة عيسو فأي منفعة للخديعة هاهنا.

٢ - بطلان بركة يعقوب التي تحدثوا عنها في قولهم افتراء على نبي الله إسحاق عليه السلام أنه قال ليعقوب: «تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب وتكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أبيك» وهذه كذبات فما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه من بعده ولا خضعت لهم الشعوب ولا كانوا موالي اخوتهم ولا سجد لهم ولا له بنو أبيه [1] بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة وفي كل أمة وهم خضعوا للشعوب قديماً وحديثاً، فإن قالوا سيكون هذا في المستقبل قلنا:

قد حصلتم على الصغار قديماً .. والأماني بضائع السفهاء

هيهات ..

أترجو ربيع أن يجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها[2]

٣ - إنه من الثابت في نصوص العهد القديم أن يعقوب عليه السلام قد مكث في خدمة ابن عمه لابان بن ناحور عشرين سنة في مقابل أن يزوجه من بنتيه ليئه وراحيل[3]. وهذا يدل على أن يعقوب كان خادماً، وليس سيداً كما يزعمون.

٤ - إنه لم يثبت في نصوص العهد القديم أن عيسو سجد ليعقوب ، بل

---

(١) بل ولا أولاده بل سبوه وقالوا تا الله إنك لفي ضلالك القديم.

(٢) راجع الإمام ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١ ، ص٢٩٩.

(٣) انظر: سفر التكوين: ٢٩/١٥ وما بعدها.

نصوص العهد القديم توضح أن يعقوب هو الذي سجد لعيسو مراراً، وكان يخاطبه بلفظ سيدي متذللاً له[1].

٥ - لم يذكر العهد القديم أن يعقوب ملك أرض كنعان ودانت له وورثها أولاده من بعده كما جاء في نصوص الوعد بل لم يذكر العهد القديم شيئاً عن يعقوب بعد هجرته إلى مصر غير أنه لما حضرته الوفاة أوصى أولاده أن يدفنوه مع أبيه وجده في غارة المكفيلة.

٦ - عبارة النص «والأرض التي اعطيت إبراهيم وإسحاق لك اعطيها» ونتساءل أين هذه الأرض إذا كان إبراهيم وإسحاق عليهما السلام لم يملكا شيئاً من الأرض فأي أرض هذه التي وعد يعقوب أن يأخذها كما أخذها أبواه؟ إلا أن تكون تلك الأرض هي غارة المكفيلة(أي القبر).

٧ - يذكر العهد القديم أن يعقوب قبل هجرته إلى مصر كان من رعايا «حمور الحوي» رئيس الأرض وأن «شكيم بن حمور الحوي» رأى «دينه» بنت يعقوب فأخذها واضجع معها وأذلها وسكت يعقوب حتى جاء أولاده ودبروا حيلة انتقموا بها من شكيم وأهله[2]، وإن كنا نستبعد أن يحدث ذلك في بيت من بيوت النبوة، ولكن كيف يكون ملكاً، وهو ضعيف إلى هذا الحد.

٨ - أنه من الثابت أن نبي الله يعقوب عليه السلام ترك الديار الفلسطينية كلية بعد أيام الجفاف وارتحل إلى مصر، وفي هذا يقول الدكتور رؤوف شلبي:

«ولم يشأ الله أن يستقر المقام بسيدنا يعقوب في أرض كنعان بل رحل إلى مصر في قصة تمر أحداثها بكثير من الآلام والمتاعب يسببها له أولاده لكراهيتهم لأخيهم يوسف عليه السلام، وتجبرهم على أبيهم النبي، وعدم احترامهم لمشاعره، ثم يصابون بالقحط ويبحثون عن الميرة في مصر حين تولى يوسف عليه السلام أمر وزارتها بعد طول مكث في غياهب السجون فيكتب الله على

(١) انظر: سفر التكوين الاصحاح ٣٣.
(٢) انظر: سفر التكوين الاصحاح، ٣٤ بتصرف.

بني إسرائيل هجـرة جوع من أرض كنعان إلى مـصر ويظلون بها حـتى يذوقوا ظلم فرعون وبطشه»ا.هـ.

وإذا كان نبي الـله يعقوب قـد ترك فلسطين كليـة ، ولـم يرجع إليهـا حتى مات، فكيف يدعي اليهود أنه ملك أرض فلسطين ووعد بها؟

إن الواقع التاريخي في حياة نبي الله يعقوب يكذب تلك النصوص.

وبعـد التفـصيل عن حـياة كل نـبي وعد بالأرض في زعـمهم، فـإن تطور الوعود في سـفر التكوين لإبراهيم وإسـحاق ويعقـوب ونسلهم يظهر الافتـعال الصارخ في هذه الوعود ومداها، فقد صدرت قبل أن يكون لإبراهيم نسل على ما يفيده السيـاق، وفي حين كان لاجئاً في أرض كنعان، ولا يمكن أن يكون له مطمع، وهذا كـان حال ولده إسحـاق وصغـيره يعقـوب، وكانت الوعـود مرة أرض كنعان، ومـرة ما تراه عينه شرقاً وغـرباً وشمالاً وجنوباً، ومـرة من مصر إلى نهر الفـرات مع تمكينه من عشـر أمم كانت تسكن هذه المسـاحة الواسـعة، ولم يكن بين إبراهيم وهذه الأمم عداء، بل كان نزيلاً ضيـفاً وعاملوه بما يعامل الضـيف من عطف ومـودة، وكـان منهـم الموحـدون البـررة، فلم يكن العـداء الديني، والحـالة هذه قـائـماً مما يدل علـى أن هذه الوعـود كـانت من دلائل الافـتـعـال المتـأخـر المتـأثر بالأحـداث التي جـرت بعـد طروء بني إســرائيل واصطدامهم مع أهل البلاد.

ومن دلائل الكذب في نصـوص الوعـد أيضـاً أن الوعـود كـانت لإبراهيم ونسله ولما كان لإبراهيم نسل غـير إسحـاق جد بني إسرائيل الثاني في زعـمهم بعـد إبراهيم حرص المسـجلون على إخـراجهم مـن الإرث وصرفـهم في حيـاة إبراهيم إلى المشـرق وحصـر إرثه وعهده في إسـحاق ، ولـم ير المسـجلون هذا كـافيـاً فـسجلوا أن الرب وعـد إسـحاق بالعـهـد والإرث شخـصيـاً، ولما كـان لإسـحاق نسل غـيـر يعقـوب الجد المبـاشـر لبني إسرائيـل وهو عيـسو حـرص المسجلون على إخراجهم وحصر الإرث والعهد في يعقوب، ولما كان عيسو هو بكر إسحاق فـقد سجلوا تنازله عن بكوريته ليـعقوب، ثم جعلوا إسـحاق يقرر البركـة التي منحها لعـيسو وتلـقاها منه يعقـوب بالحيلة ليعـقوب رغم اكتـشاف

الحيلة، ولم ير المسجلون هذا كافياً فجعلوا إسحاق يدعو ليعقوب شخصياً ويقرر له البركة والإرث، ثم جعلوا الرب يتجلى ليعقوب فيقرر له ذلك، ولذلك تمت الحلقات العجيبة[1].

فلئن كان العهد عهد أرض ومادة فلقد تخلف العهد عن إبراهيم وتخلف عن إسحاق وتخلف عن يعقوب برغم النص على كل منهم وبنيه من بعده.. وسؤال البداهة أن يقال فأين محصلة تلك العهود الإلهية القاطعة؟ أليس من حق الباحث أن يرى أن عهود الأرض وميراثها ليست سوى عهود أرضية زائفة يكذبها طول الواقع التاريخي وينقضها على غير قصد منهم كتابهم وترفضها سنة الله الحكيمة مع أنبيائه.

ولذا، فإن الوعد الإلهي الذي يستند إليه اليهود في دعوى الحق الديني في أرض الميعاد يفسد نفسه فكيف يعد الله أنبياءهم بشيء، ويعجز الأنبياء عن تحقيقه ثم يأتي اليهود المعاصرون فيدعون أنهم أصحاب الحق في تنفيذ هذا الوعد؟

إن الوعد ليس له أساس من الصحة، بل إن الثابت أن الله حرم الأرض المقدسة على اليهود لشؤم عصيانهم، وتمردهم وفسقهم ، وأنهم حينما دخلوا الأرض المقدسة دخلوها فيما بعد عاصين. إن الوعد لم يتحقق لا لأن أصحابه لم يكونوا له أهلاً كما يقول شراح العهد القديم من المسيحيين: «إن الوعد لم يتحقق لضعف إيمان بني إسرائيل وعصاوتهم على الرب»[2] ولكن لم يتحقق الوعد لأنه وعد مكذوب اختلقه كتاب العهد القديم من عند أنفسهم ولو كان وعداً من الله ما تخلف لأن الله لا يخلف الميعاد.

وإن محاولة بعض علماء المسلمين الإقرار بصحة الوعد وأنه لم يتحقق لبني إسرائيل، وإنما تحقق لأبناء إسماعيل بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- هي محاولة تفتقر إلى دليل، وتجعلنا نقر مع اليهود بصحة نص الوعد ونتطاحن بعد ذلك في أحقيته وعدم التسليم بصحة الوعد أسلم وأعلم ، أما

(١) محمد عزة دروزة: العدوان الإسرائيلي، ج١ص١٦.
(٢) انظر: السنن القويم في تفسير العهد القديم، سفر يشوع.

إنه أعلم فإنه لا دليل ولا قضية تصح دون برهان عليها، وأما إنه أسلم فلأنهم يرون أن الوعد انتقل من إبراهيم إلى إسحاق، ثم إلى يعقوب -عليهم السلام- وإذا لم يتحقق الوعد لصاحبه فهو وعد كاذب.

ومما سبق يتضح أن الوعد بالأرض لنبي الله إبراهيم عليه السلام وأولاده إسحاق ويعقوب -عليهما السلام- مغالطة تاريخية وخيال ألبسه صانعوه ثوباً دينياً ليكون حقيقة دينية وما هو كذلك بل هو مغالطة تاريخية.

* * *



الوعد بالأرض لنبي الله موسى (عليه السلام)

أرسل الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون، وكان مقصد رسالته بعد هداية فرعون هو انقاذ بني إسرائيل من ظلم فرعون وجبروته، وحدث له ما حدث مع فرعون على نحو ما قصه القرآن الكريم فأمره الله بالخروج من أرض مصر ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[1]

ومع أن الأمر بالخروج من الله، وأن خروجهم كان غاية آمالهم وهوى أفئدتهم ليتحرروا من ذل العبودية وعارها، ومازرعه الله في قلوبهم من الطمأنينة والسكينة، مع كل ذلك فطبائع اليهود الخائرة وجبنهم الشديد أبت إلا أن تطفح فأظهروا عدم ثقتهم في ربهم وقالوا لموسى ﴿إنا لمدركون﴾[2] فأجابهم موسى عليه السلام: ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين﴾[3]

ويصنع الله لهم معجزة شق البحر فينجيهم ويهلك عدوهم ويستقرون بأرض سيناء، ويكفرون بنعم الله عليهم ويتعبدون لعجل السامري الذي

---

(١) سورة طه: الآية ٧٧

(٢) سورة الشعراء: الآية٦١.

(٣) سورة الشعراء: الآية٦٢

صنعه لهم، ويسخرون من موسى وربه فيضرب الله عليهم التيه أربعين سنة.

ومع كل الذي حدث من بني إسرائيل في برية سيناء فإن الذين كتبوا سفري الخروج والتثنية سرح بهم الخيال فسجلوا وعوداً بامتلاك أرض الميعاد لموسى وبني إسرائيل.

أولاً : ما ورد في سفر الخروج:

أورد كتاب سفر الخروج عدة نصوص على أن الله وعد موسى عليه السلام بأرض الميعاد:

١ - أول نص ورد في السفر ذكر الكاتبون له أنه حدث في مدين حينما كان موسى يرعى غنم يثرون حمية كاهن مدبان[(١)] ظهر له ملاك الرب وقال له الرب: (إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة تفيض لبناً وعسلاً إلى مكان الكنعانيي[(٢)] والحثيين[(٣)] والأموريين[(٤)] والفرزيين[(٥)] والحويين[(٦)] واليبوسين[(٧)])[(٨)].

---

(١) أرض كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء. قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٠.

(٢) الكنعانيون: سكان أرض كنعان.

(٣) الحثيون: أمة من الأمم التي سكنت أرض كنعان قبل العبرانيين ويقال أن نسبهم ينتهي إلى حث ثاني أبناء نوح. قاموس الكتاب المقدس ص٢٨٩.

(٤) الأموريون: شعب حكم أجزاء من فلسطين وكانوا من أهم القبائل في فلسطين. قاموس الكتاب المقدس ص١١٩.

(٥) الفرزيون: اسم كنعاني معناه أهل الريف وهي طائفة حديثة من الكنعانيين. قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٥.

(٦) الحويون: اسم عبري معناه قرية مخيم أي ساكنوا الخيام وهم أحد أجناس كنعان. قاموس الكتاب المقدس ص٣٢١.

(٧) اليبوسيون: اسم قبيلة كنعانية سكنت يبوس (القدس) والجبال التي حولها. قاموس الكتاب المقدس ٥٣.

(٨) سفر الخروج ٣/٧: ١٠

٢ - النص الثاني للوعد ذكر الكاتبون لسفر الخروج أنه حدث في مصر بعد اشتداد ظلم فرعون لبني إسرائيل عقب دعوة موسى له باطلاق سراحهم وبعد شكوى موسى لربه انه لم يخلص شعبه يقولون (ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء ، وأما باسمي يهوه فلم اعرف عندهم وأيضاً اقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها وأنا أيضاً قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب أنا اخرجكم من تحت اثقال المصريين وانقذكم من عبوديتهم واخلصكم بذراع ممدودة وأحكام عظيمة واتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي ان أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثاً أنا الرب فكلم موسى هكذا بني إسرائيل، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية)[1]

والنص يوضح عدة أمور منها:

أ - اسم الله يهوه منحه الرب لبني إسرائيل في عهد موسى ولم يكن الأنبياء السابقون يعرفونه.

ب - تذكر الله لوعده بعد أن سمع أنين بني إسرائيل.

ج - أن الأرض ستعطى لهم ميراثاً.

د - عدم سماع بني إسرائيل لكلام نبيهم لعلة نفسية عند اليهود هي الصغار والشعور بالذل.

٣ - النص الثالث أورده كتاب سفر الخروج بعد حادثة عبادة بني إسرائيل للعجل(قال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلاً فإني لا أصعد في

---

(١) سفر الخروج: ٦/٢ : ٩.

وسطك لأنك شعب صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق[1].

ويبدو من هذا النص عدة أمور منها:

أ - أن النص يوضح أن الوعد بالأرض لإبراهيم وإسحاق ويعقوب كان لنسلهم ولم يكن لهم وهذا يتعارض مع نصوص الوعد في سفر التكوين.

ب - وصف الأرض بأنها تفيض لبناً وعسلاً، وكأن الغاية من الوعد تحقيق السعادة الدنيوية لشعب الإله كما يزعمون.

ج - وصف اليهود بأنهم شعب صلب الرقبة حتى مع ربهم.

ثانياً : ما ورد في سفر التثنية:

سفر التثنية ويعرف بسفر الإعادة لأن فيه إعادة لما أوصى الرب به موسى وبني إسرائيل وقد وردت نصوص في هذا السفر بالوعد بأرض الميعاد منها:

١ - في أول اصحاحات السفر يذكر الكاتبون أن موسى لما ابتدأ بشرح الشريعة لبني إسرائيل قال: (الرب إلهنا كلمنا في حوريب[2] قائلا: «كفاكم قعوداً في هذا الجبل تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين ، وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتمكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»[3].

٢ - يذكر الكاتبون أن الرب كلم بني إسرائيل قائلا: «اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء قوماً عظاماً وطولاً بني عناق الذين عرفتهم

---

(١) سفر الخروج ٣٣/١: ٣.

(٢) حوريب: اسم جبل في سيناء يدعي اليهود أن الوصايا العشر نزلت على بني إسرائيل وهم على هذا الجبل. انظر القاموس ص٤٩٨.

(٣) سفر التثنية (١/٦: ٨)

وسـمعت من يقف في وجـه بني عناق فـاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العـابر أمـامك ناراً آكلة هو يبيدهم ويذلهـم أمامك فـتطردهم وتهلكهم سـريعـاً كمـا كلمك الرب، لا تقل فـي قلبك حين يفنيـهم الرب إلهك من أمـامك قـائلاً : لأجل بري أدخلني الـرب لأمتـلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشـعـوب يطردهم الرب من أمامك ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخـل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولـئك الشعـوب يطردهم الرب إلـهك من أمـامك ولـكي يفي بالكلام الذي أقسـم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحـاق ويعقـوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكهـا لأنك شعب صلب الرقبة»[1].

والنص يبـرز من خلاله أن بني إسـرائيل ليسـوا أهلاً للوعد بالأرض فـهم شعب صلب الرقبة ، ولكن تحقيق الوعـد لهم لعصيان الأمم وليفي الله بوعده السابق لإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

٣ – في سـياق الوصـايا التي ذكرت في هذا السـفر يزعم الكتـاب أن الله خـاطب بني إسرائـيل قائلاً : «يطرد الرب جـمـيع هؤلاء الشـعوب من أمـامكم فترثوا شعوباً أكـبر وأعظم منكم كل مكان تدوسه بطون أقدامك يكون لكم من البـرية ولبنان من النهر نهـر الفرات إلـى البحـر الغربي يكون تخـمكم لا يقف إنسـان في وجهـكم الرب إلهكم يجـعل خشيـتكم ورعـبكم على الأرض التي تدوسونها كما كلمكم».

٤ – أما النـص الرابع فيرد في نـهاية السفـر وقبـيل وفاة مـوسى مبـاشرة حـيث قالوا: «وصـعد مـوسى من عربات مـوآب[2] إلى جبـل نبو[3] إلى رأس الفسحة[4] الذي في قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد [5] إلى دان

(١) سفر التثنية ٩/١:١-٦
(٢) عربات موآب : وادي الأردن والبحر الميت .قاموس الكتاب المقدس ص٩٥٣.
(٣) جبل بنو: جبل مشهور بالأردن قريب من قرية مأديا.
(٤) رأس الفسحة قمة جبل نبو. قاموس الكتاب المقدس. ص ٩٥٣
(٥) رأس الفسحة قمة جبل نبو . قاموس الكتاب المقدس. ص ٩٥٣

وجميع تفتالي [١] وأرض إفرايم [٢] ومنسي [٣] وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر[٤] وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبدالرب في أرض موآب حسب قول الرب[٥].

ولا تتوقف الوعود بالأرض بعد موت موسى عليه السلام بل يذكر العهد القديم وعوداً أخرى منها على سبيل المثال ما جاء في سفر يشوع أن الله كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : «موسى عبدي قد مات فالآن قم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل كل موضع تدوسه أقدامك لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم»[٦]

وبعد عرض هذه النصوص أجد أن هناك تساؤلات كثيرة تطرح نفسها وأجيب عليها من خلال نصوص العهد القديم نفسه لنصل إلى حقيقة الوعد هل هو حقيقة أم مغالطة.

وأول تلك الأسئلة: لماذا لم يتحقق الوعد في حياة النبي موسى عليه السلام مع تأكيد النصوص على أن الله هو الذي يقود بني إسرائيل ليبيد ويهلك الشعوب التي أمامهم وهل تخلف الوعد لعصيان بني إسرائيل؟لقد وضحت النصوص أن الله سيعطي بني إسرائيل أرض الميعاد ليس بسبب برهم

---

(١) نفتالي : أي جميع أرض سبط نفتالي ، وكان نصيبهم من الأرض في القسم الشمالي من أرض فسطين . القاموس ص٩٧٤.

(٢) أرض إفرايم: أرض لسبط من أسباط بني إسرائيل ومن مدنها شكيم عاصمة المملكة الشمالية. انظر اقاموس ٩٠ ، ٩١.

(٣) منسي: أرض سبط من أسباط بني إسرائيل.

(٤) صوغر: اسم سامي معناه صغر تطلق على مدينة لجأ إليها لوط عند هلاك سدوم. قاموس الكتاب المقدس ص٥٦٢.

(٥) سفر التثنية ١/٣٤: ٥

(٦) سفر يشوع ١/١: ٤.

وإنما ليوفي بالقسم الذي أقسمه لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيهم أرض الميعاد. وحتى عبادة بني إسرائيل للعجل غفرها لهم ليس هذا فقط بل إن الرب قد ندم لأنه عزم على خلف وعده بسبب عبادتهم للعجل.

يذكر الكاتبون بعد ذكرهم لغضب الرب على بني إسرائيل أن موسى تضرع إليه قائلاً: «لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك اذكر إبراهيم واسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»[1]

إذن لم يبق إلا سبب واحد وهو أن نبي الله موسى وأخاه هارون عليهما السلام لم يكونا أهلاً لذلك العهد ، ولذلك تخلف العهد عنهما!! وهذا فعلاً ما يذكره كتاب العهد القديم فيزعمون أن الله خاطب موسى قائلاً له: « إصعد إلى جبل عباريهم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً، ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور[2] وضم إلى قومه لأنكما ختتماني وسط بني إسرائيل عند ماء موية قادش في برية صين[3] إذ لم تقد ساني في وسط بني إسرائيل فإنك تنظر إلى الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أعطيها لبني إسرائيل»[4]

والنص يوضح أن نبي الله وكليمه ومصطفاه موسى عليه السلام خائن لربه يستحق الموت قبل أن يتحقق الوعد بالأرض، وثاني الأسئلة هل الوعد مشروط

---

(١) سفر الخروج ٣٢/ ١١: ١٤

(٢) جبل هور: جبل معروف قريب من البتراء الحديثة. انظر: قاموس الكتاب المقدس ٩٩٥.

(٣) برية صين: برية عبرها بنوا إسرائيل في طريقهم إلى كنعان، وكانت قادش ضمن حدود هذه البرية. قاموس الكتاب المقدس ص٥٦٧.

(٤) سفر التثنية ٣٢/ ٤٨: ٥٢.

بطاعة بني إسرائيل لربهم أو أن الوعد مطلق أطاع القوم أو عصوا؟

إنه مع أن أحد نصوص العهد القديم يوضح أن الوعد بالأرض كان وفاء للعهود السابقة إلا أن المطالع للعهد القديم يجد أن هذه الوعود مشروطة بقيد الطاعة والاستقامة فإذا لم يقم بنو إسرائيل بالطاعة والاستقامة فإن مصيراً مؤلماً ينتظرهم. ولعل أوضح دليل على هذا هو الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية ، وهذا الإصحاح عدد فقراته ثمان وستين فقرة فيه أربع عشرة فقرة فيها كلام عن الوعد واختصاص بني إسرائيل به غير أن الفقرات الباقية والتي تبلغ اربعاً واربعين فقرة تتحدث عن اللعنات التي تصيب بني إسرائيل إذ لم يحافظوا على وصايا الرب ، ومن هذه اللعنات قول الكاتبين على لسان الله (وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي انت داخل إليها لتمتلكها، ويددك الرب في جميع الشعوب من اقصاء الأرض إلى اقصائها، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر ، وفي تلك الأمم لا تطمئن، ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك، في الصباح تقول ياليته المساء وفي المساء تقول ياليته الصباح من ارتعاب قلبك الذي ترتعب، ومن منظر عينيك الذي تنظر ، ويردك الرب إلى مصر في سفن في الطريق التي قلت لك لا تعد تراها فتباعون هناك لأعدائك عبيداً وإماءً وليس من يشتري»[1]

ويتحدث سفر اللاويين عن ترهيب بني إسرائيل في حالة عدم اتباعهم للوصايا ومخالفتهم لأوامر الرب.

منها «لا يكون لكم قيام أمام أعدائكم فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أراضي أعدائكم وأيضا بذنوب آبائهم معهم يفنون»[2].

(١) سفر التثنية ٢٨/ ٦٤: ٦٨

(٢) سفر اللاوين ٢٦/ ٣٧: ٣٨

ومن النص يتضح أن الوعد بالأرض وعد مشروط بقيد الطاعة، وتلك حقيقة مسلمة في كل وعد إلهي مع الشر في كل أمة من الأمم لأن البشر في امتحان دائم مع الله.

أقول : وإذ سلمنا جدلاً أن هناك وعداً بالأرض مشروط يفيد الطاعة فإن سؤال البداهة يقول وهل وفي بنو إسرائيل بشروط الطاعة فاتبعوا أوامر الشريعة والتزموا بالوصايا التي وصاهم بها الله؟

إن فسق بني إسرائيل وكفرهم بآيات الله وقتلهم لأنبيائهم وانحرافهم الخلقي حقائق سجلها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فياترى ماذا يسجل عليهم كتابهم؟ إن العهد القديم يسجل عليهم كثيراً من ردتهم وانحرافاتهم الخلقية ومن هذا ما يلي:

١ - فجور بني إسرائيل وزناهم مع بنات موآب وأن هؤلاء البنات دعوا الشعب إلى ذبائح الهتهن فأكلوا منها وسجدوا لألهتهن وعبد بنو إسرائيل بعل فاغور[١] فأمر موسى قضاة بني إسرائيل بقتل كل من تعلق بعبادة البعل[٢].

٢ - خالف بنو إسرائيل أوامر الرب بعدم الزواج من الأجنبيات ففي عهد القضاة كما يقول الكاتبون«سكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا الهتهم فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى»[٣]

٣ - قصة حادث عجيب يكاد يكون وحيداً في التاريخ مهما كان من المحتمل امتزاجه بالغلو والخيال، وقد ذكرت في الاصحاحات ١٩, ٢٠, ٢١ من سفر القضاة وخلاصة ذلك أن أحد أبناء سبط لأوي نزل مع سرية لله ضيفاً على أحد بني بنيامين في مدينة اسمها جيع فجاء جماعة من أهل المدينة يقال

---

(١) بعل فاغور: اسم مؤابي لإله كان يعبد في جبل فغور . قاموس الكتاب المقدس ص١٨٤.

(٢) راجع سفر اللعدد اللإصحاح الخامس والعشرين.

(٣) سفر القضاة ٣/ ٥ : ٧.

لهم بنو ينيعال وطرقوا الباب وطلبوا من صاحب البيت إخراج الضيف ليفعلوا به الفاحشة، فاستنكر صاحب البيت الطلب، وحاول صرفهم فلم يتمكن إلا بإخراج سرية الضيف لهم فأخذوها وتعاقبوا عليها واحداً بعد واحد حتى زهقت روحها فقطعها زوجها اثنتي عشرة قطعة على عدد أسباط بني إسرائيل وأرسلها إلى جميع تخوم بني إسرائيل.

فهذه قصة مقززة للنفس ذلك الزنا الجماعي بامرأة حتى ماتت.

٤ - صورة من صور الانحراف الخلقي يذكرها الكاتبون لسفر صموئيل فيتحدثون عن فتيان بني إسرائيل الذين كانوا يزدرون الطقوس الدينية وأن أبناء عالي كاهنهم الأكبر كانوا لا يعرفون الرب ولا يفرقون بين حق الشعب وحق الكهنة، وأنهم كانوا لا يتورعون عن مضاجعة النساء في باب (خيمة الاجتماع) باب المعبد على ملأ من الناس[١].

٥ - يتحدث سفر القضاة عن شرك بني إسرائيل وعبادتهم لغير الله (عبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون، وآلهة مؤاب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه)[٢].

واخلص من ذلك إلى أن بني إسرائيل ما استقاموا على شريعة موسى عليه السلام وما حافظوا على عهود الرب معهم بل خالفوها وضيعوها، وبذلك ضيعوا الوعد بالأرض الذي يزعمونه يقول الدكتور: «الفرد جلوم» استاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن (من الواضح أن الوعود الإلهية إلى أولئك الأنبياء قد ألغيت بسبب ردة الأمة عن الدين»[٣]

ثم يأتي السؤال الرابع إذا سلمنا جدلاً بصحة نصوص الوعد وسلمنا أيضاً جدلاً بإيمان بني إسرائيل والتزامهم بأوامر الله فهل تحقق الوعد؟ وهل دامت لهم؟.

(١) راجع سفر صموئيل الثاني الإصحاح الثاني. محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي ص١١٩، ١٢٠.
(٢) سفر القضاة ٦/١٠.
(٣) نقلاً عن إسماعيل الكيلاني: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص١١٥، ١١٦.

يقول الكاتبون لسفر يشوع (أعطي الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لأبائهم فامتلكوها وسكنوا بها)[1]

الثابت أن يشوع لم يستول إلا على أريحا وبعض المدن الصغيرة بجوارها أما المدن المهمة الأخرى مثل بيت شان وأورشليم وجزر فقد ظلت في أيدي أصحابها.

فإذا كان يشوع لم يستطع الاستيلاء على كل مدن فلسطين فكيف يزعم الكاتبون أن الرب أعطاه جميع الأرض التي أقسم لأبائه أن يعطيها إياهم.

فكما أن الكذب واضح في اختلاق الوعد فإنه كذلك واضح في ادعاء الوفاء بالوعد.

فلم يتملك بنو إسرائيل أرض الميعاد وما استقروا فيها استقراراً هنيئاً بل تشردوا في كل بقاع الأرض حتى ضرب بهم المثل فقيل اليهودي التائه، وذلك قبل قيام مملكتهم التي يزعمون أنهم أقاموها أو بعدها، والنكبات التي حلت بهم كثيرة ومتعددة، وبعيداً عن النكبات التي حلت بهم على يد بختنصر وقورش ومن بعدهم فإن نصوصاً في العهد اللقديم توضح أن الله غضب على بني إسرائيل فاذلهم لأعدائهم من هذا :-

١ - أن الله سلط المديانيين على بني إسرائيل لمدة سبع سنوات ينهبون غلتهم ولا يتركون لهم قوت حياتهم ويأخذون غنمهم وبقرهم وحميرهم وكانوا ينقضون عليهم كالجراد.

٢ - إن الرب أذل بني إسرائيل للفلسطينين وبني عمون لمدة ثمانية عشر عاماً فحطموهم وذللك لأن بني إسرائيل عبدوا البعليم والعشتاروت.

٣ - لما عاد بنو إسرائيل يعملون الشر اذلهم للفلسطينيين أربعين سنة.

ومما سبق يتضح أن بني إسرائيل ما تملكوا أرض الميعاد التي جاء ذكرها في نصوص العهد القديم وما عاشوا فيها عيشاً هنيئاً طيلة حياتهم وذلك يبطل زعمهم بوعد الله لهم بالأرض.

---

(١) سفر يشوع ٢١/٤٣.

ولذا ، فإن الوعد بالأرض ما هو إلا خيال اختـلقه كتاب العهد القديم من عند أنفســهم وهم في فـترة الشتـات حـنيناً إلى العـودة إلى فلـسطين يقـول الفـيلسوف روجـيه جـارودي: «في أي وقت وفي أي ظروف تاريخيـة وفي أي مـجمـوعات بشـرية ابتدع هذا القـصص الخـلاق هذا القصص الحـاسم في بناء الإنسان والحياة والابطال الحقيـقيين أو الخياليين؟ الشيء الهام هو أن هناك أناساً تصوروا تـلك الصور وادعوهـا ، وحاولوا أن يعيـشوا على هدى هذه الـنماذج التي أوجدت واقعاً جديداً يتمثله البشر يحاولون أن يعيشوا على هديه»[1].

أقـول : لو كانت وعـود الأرض الواردة في الأسفار مجرد تـراث شعبي، أو أماني قديمة يتمناها يهود العصر الحـاضر ويتغنون بها ما كانت هناك مشكلة، ولكن المشكلة «إن الصهيونية الحديثـة تستوحي كل خطواتها وممارساتها من هذه الأسفـار وما ترسمه من خطط وتـسجله من تسجيـلات على اعتبـار أنها خطط دينية واجبة الالتزام ولا يمكنها أن تحيد عن أي شيء منها»[2].

فـفي كل غزو ونهب للآخـرين لا يتـورعون أن يأتوا بنصـوص من العهـد القديم تبرر جرائمهم ففي (في عام ١٩٨٢م عندما شنت دولة العدو الإسرائيلي عـدوانهـا على لبنان وارتكبـت العـديد من المذابح ودبرت العـديد من المجـازر وقـتلت الآمنين وروعتـهم وشـردت الكثـيرين منهم وقف قـس بروتستـاني في الولايات المتحـدة ليقول وهو يرد عـلى أسئلة المشاهدين للبث الـتلفزيوني الذي تديره وتشرف عليه كـنيسته حول هذا الغـزو وهذه المذابح والمجازر: «إن التوراة قد تنبـأت بذلك وعلى كل مؤمن بالعهـد القديم أن يتجنب التفكيـر في الدماء على حساب عقيدته في صدق العهد القديم».

وقال حـاخام يهودي برتبة نـقيب: «علينا ألا ننسى أجزاء التـوراة التي تبرر هذه الحـرب فنحن نؤدي واجبنـا الديني بتواجـدنا هنا فـالنص المكتوب يفـرض علينا واجباً دينياً هو أن نغزو أرض العدو»[3]

---

(١) روجيه جارودي : ملف إسرائيل ، ص٩٦.

(٢) محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي ، ص٦٩.

(٣) روجيه جارودي : ملف إسرائيل ، ص٩١.

وهكذا تبـرز نصوص العهـد القديم كـعلة شرعـية للمـجازر التي يرتكبـها اليهود داخل البـلاد العربية،كما تبرز أيضـاً نصوص العهد القديم كعلـة شرعية في عدم إعطاء أي عهد لأهل البلاد المنكوبة بهم بالأمن أو السلام، وذلك مثل ما ورد في سـفر الخروج وسـفر العدد وإليك نص سـفر الخروج «احـفظ ما أنا موصيك اليوم ها أنا طارد من قدامك الأمـوريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين احتـرز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليـها. لئلا يصـيروا فخـاً في وسطك بل تهدمون مذابحـهم وتكسرون أنصابهم وتقطعـون سواريهم فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو احترز من أن تقطع عهداً مـع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتـهم ويذبحون لآلهتهم فـتدعى وتأكل من ذبيحـتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك فـتزني بناتهم وراء الهتـهن ويجعلن بنيك يزنين وراء الهتهن»[1]

وبالتالي يكون اليهود في حل دينياً إذا نقضـوا أي عهد وميثاق بشأن أرض الميعاد.

وإن العرب الذي ينشدون التعايش السلمي مع اليهود في أرض الميعاد قوم واهمون لأن اليهود لن يوافقوا وإذا وافقوا يوماً فيسنقضون عهودهم.

يقـول الأستـاذ محـمد عـزه دروزه: «وقد تضطرهم الظروف إلى المهـادنة والمهاودة ولكن ذلك لن يكون إلا مؤقتاً ثم يعـودون إلى العمل للسير في تنفيذ خططهم ومطامعـهم كما فعـل الإسرائيليون القدمـاء لأن ذلك مبرر حركـتهم، وهذا فضـلاً عن كونهم على كـل حال معـتدين يجب رد عـدوانهم ، ويتظاهر بعضـهم بالاعتـدال ويسمـيهم الناس حـمائم إزاء فريـق يسمى بالصـقور، لأنه متشدد ، وهذا في الحقيقة خداع ولا مـعنى له ما دام الفريقان متمسكين بالبقاء في أرض العرب وقيام دولتهم المجرمة على انقاض العرب»[2]

وبعـد هذا الطرح لنصـوص العـهد القـديم التي تجـيب على الأسـئلة التي قدمتها فإني أخلص إلى الآتي:

---

(١) سفر الخروج ٣٤/ ١١: ١٦.

(٢) محمد عزه دروزه: العدوان الإسرائيلي، ص٢١، ٧٢.

إن بني إسرائيل لم يكن لهم عيش هنيء في فلسطين على مر العصور بل كان تاريخهم اشبه بنكبات متلاحقة عليهم وهذا يبطل امتلاكهم لأرض الميعاد التي يدعون أن الرب وعدهم بها.

كما أن اليهود لا يستحقون أي رحمة من الرب لردتهم على أعقابهم وانحرافهم الخلقي الذي سجله كتابهم عليهم.

وبالتالي لا يستحقون أي وعد بالفوز والغنيمة وامتلاك الأرض، وما سجله العهد القديم من وعود بالأرض ما هي إلا أسطورة شانهم في ذلك شان جميع الممالك القديمة التي كانت تمنى نفسها بوعود.

إن الوعد بالأرض ليس حقيقة دينية بل مغالطة تاريخية، فالأرض كما أخبر القرآن على لسان نبي الله موسى عليه السلام: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[1]

* * *



الأمر بدخول الأرض المقدسة

يبقى لنا بعد أن عرضنا الوعد بالأرض الذي ورد في نصوص العهد القديم أن نعرض لآيات سورة المائدة التي ذكر فيها الأمر بدخول الأرض المقدسة والواردة في قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب

(١) سورة الأعراف : الآية ١٢٨

أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾[1].

هذا النص يبرز لنا بعض الدلالات في أسلوب معجز وعبارة بلاغية جميلة، ومن هذه الدلالات مايلي:

أولاً : التذكير بالنعم :

بدأ سيدنا موسى عليه السلام بتذكير قومه بالنعم التي أنعم الله بها عليهم وخص لهم من جملة النعم نعمتي النبوة والملك وذلك لأن أولاهما تجمع لهم خير الدنيا والأخرة وثانيتهما تحقق لهم مكانة بين الناس في الدنيا. ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ (وصيغة الكثرة على حقيقتها كما هو الظاهر)[2] ، وذلك لأنه

(لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء)[3] فكانوا (كلما هلك منهم نبي قام فيهم نبي)[4].

﴿وجعلكم ملوكاً﴾ جعلهم ملوكاً أسياد أنفسهم، ومن قبل كانوا أذلة عند فرعون.

﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ بما منحهم به من نعم اختصوا بها كالمن والسلوى وتفجير الينابيع إلى غير ذلك من الهبات التي لم تمنح لأحد من عالمي زمانهم.

ثانياً : قداسة الأرض:

الأرض المقدسة هي بقعة من الأرض أراد الله ان تكون طاهرة مثل كلمة

---

(١) سورة المائدة: الآيات: (٢٠ إلى ٢٦)

(٢) تفسير الألوسي (٦/٩٤) المطبعة المنيرية بالقاهرة.

(٣) تفسير الكشاف (١/٢٤٩) ، المطبعة البهية المصرية ، سنة ١٣٤٢هـ.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٢٦) ، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر.

الحرم أي بقعة من الأرض أراد الله أن تكون حراماً فحرم فيها أشياء معينة.

يقـول الإمام الرازي: «الأرض المقـدسـة هي الأرض المطهرة، طهـرت من الآفات. قال المفسـرون طهرت من الشرك وجعلت مسكناً وقراراً للأنبـياء وفيه نظر لأن تلك الأرض ما كانت مقـدسة عن الشرك وما كانت مقـراً للأنبياء قبل موسى ويمكن أن يجاب بأنها كانت كذلك فيما قبل)[1].

ثالثاً : معنى كتب الله لكم :

كتب : فعل ثلاثي تدور مادته حول معان عدة :

فيـأتي بمعنى قدر ومنه قوله تعـالى﴿قل لن يصيبنا إلا مـا كتب الله لنا﴾[2] أي ما قدره الله لنا.

ويأتي بمـعنى وعـد ومـنه قـول اللـه تعـالى: ﴿كـتـب الله لأغـلبن أنا ورسلي﴾[3].

ويأتي بمعنى فـرض ومـنه قـوله تعـالى: ﴿ياأيهـا الذين آمنـوا كـتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[4].

وحمل بعض المفسرين ﴿كـتب﴾ على أنها بمعنى (قدرها لهم)[5] ولعل هذا راجع إلى رواياتهم لوعد إبراهيم بالأرض[6].

وهذا بعض ما نقلوه من أخبار ليس لها سند وإنما هي من مرويات اليهود.

يقول الإمام الفخر الرازي[7]: (في قوله تعالى: ﴿كتب الله لكم﴾ وجوه:

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٣٩٨/٣) المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٨هـ.
(٢) سورة التوبة: الآية (٥١).
(٣) سورة المجادلة: الآية (٢١).
(٤) سورة البقرة: الآية (١٨٣).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣٧/٢)، الألوسي (٦٩/٦).
(٦) انظر: ما رواه الألوسي في تفسيره(٦٥/٦) ، ابن كثير: البداية والنهاية (١٥٢/١).
(٧) التفسير الكبير (٣٩٨/٣) المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٨.

أحدها : كتب في اللوح المحفوظ أنها لكم. **ثانيها** : وهبها الله لكم.
ثالثها : أمركم الله بدخولها.

فإن قيل لم قال كتب الله ثم قال فإنها محرمة عليهم، والجواب قال ابن عباس: كان هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل إن اللفظ وإن كان عاماً لكن المراد هو الخصوص فصار كأنهم مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم. . وقيل إن الوعد بكتب الله لكم بشروط يقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لاجرم لم يوجد المشروط).أ.هـ.

ويرى الباحث أن «كتب» هنا ليست بمعنى قدر لأن الإرادة هنا شرعية أي أن الأمر بالفعل قابل للإيجاب والنفي، ولو كانت إرادة كونية ما تخلف الوعد ولدخلوها برغبتهم أو رغماً عنهم.وعلى هذا فإن معنى: ﴿كتب الله لكم﴾ هو فرض الله عليكم دخولها وأمركم بذلك وأذن لكم به، وليس في الآية ما يفيد الملكية، وهذا ماذهب إليه السدي فيقول[1] : ﴿أمركم بدخولها وفي ذلك تنشيط لهم وتقوية إذ أخبرهم بأن الله كتبها لهم﴾.

ويقول الدكتور رءوف شلبي[2] -رحمه الله تعالى: «التي كتب الله ليس معناها الوعد بل معناها الأمر والفرض إذ لو كانت وعداً ما رفضه اليهود وجادلوا فيه فدل جدالهم على أن كلمة كتب بمعنى أمر بالجهاد وهو أمر بغيض إلى نفوسهم» ويقول أيضاً[3] : «إن الأمر بالدخول ليس وعداً ولا هبة بل هو أمر تكليف بالجهاد الأمر الذي يتحاشونه ويخافون منه لأنهم تربوا في إدارة فرعون الذي خلع قلوبهم من الخوف والهلع».

وقوله تعالى: ﴿التي كتب لكم﴾ فيه فائدة عظيمة وهي :«إن القوم وإن كانوا جبارين إلا أن الله تعالى لما وعد هؤلاء الضعفاء بأن تلك الأرض لهم فإن كانوا مؤمنين مقرين بصدق موسى عليه السلام علموا قطعاً أن الله ينصرهم

---

(١) تفسير البحر المحيط (٣/٤٥٤) ط ٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٨٣م.

(٢) بحث عن عودة القدس ، نشر بحولية كلية الدعوة الإسلامية، بالقاهرة ، العدد الأول، ص٢٠

(٣) المرجع نفسه ص١٩.

عليهم ويسلطهم عليهم فلابد وأن يقدموا على قتالهم من غير جبن ولا خوف ولا هلع»[1]

رابعاً : اظهار طبائع اليهود :

النص القرآني يوضح جانباً من طبائع اليهود الخائرة وجبنهم الشديد وعدم ثقتهم في ربهم ومن ذلك مايلي:

١ - إن الأمر بالدخول ذيل بتعقيب يفيد أنهم لن ينقذوه وهو قوله تعالى: ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ فالارتداد يراد منه النكوص عن طاعة الله أو طاعة نبيه، والمؤدى واحد في النهاية هو عدم موافقتهم على دخول الأرض المقدسة، فهو إرهاص مسبق لسلوك منتظر منهم حسب الفهم وطبعهم»[2].

٢ - جدالهم العنيد مع نبيهم موسى وعدم ثقتهم في قوله وسوء أدبهم مع ربهم وقولهم على سبيل السخرية والاستهزاء ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ (اي فقاتلاهم واخرجاهم حتى ندخل الأرض وقالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله عليه الصلاة والسلام وعدم مبالاه وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبيء عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم﴾[3]

قال المفسرون قولهم: ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا﴾ إن كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر وإن كان قالوه على وجه التمرد على الطاعة فهو فسق بدليل قوله في هذه القصة﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾أ. هـ[4].

٣ - جبنهم الشديد فهم قوم جبناء لم تصادف الشجاعة قلوبهم وإنما يعيشون في قلق وخوف وألم وما أبلغ تصوير القرآن لجبنهم حينما تبلغ شجاعتهم الحالة القصوى فيقولون: ﴿إنا لن ندخلها حتى يخرجو منها فإن

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٣/٣٩٩) المطبعة الأزهرية ط ١٣٠٨هـ.

(٢) أ.د. رءوف شلبي ، عودة القدس ص١٩.

(٣) تفسير الألوسي (٩٦/٦) المطبعة المنيرية بالقاهرة.

(٤) تفسير الفخر الرازي (٣/ ٤٠٠) المطبعة الأزهرية ط١٣٠٨/١هـ

يخرجوا منها فإنا داخلون﴾.

قال العلامة الألوسي[1] :

«وهذا امتناع عن القتال على أتم وجهه» وقال العلامة ابن كثير [2] « خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون وهو أجير من هؤلاء واشد بأساً وأكثر جمعاً وأعظم جنداً وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة، ومذمومون على هذه الحالة من الذلة عن مصاولة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء».

خامساً : تحريم دخولها :

لما ظهر جبن بني إسرائيل وعدم اتباعهم لأوامر الله ورسوله وجرهم ذلك إلى سوء الأدب مع الله ومع نبيه عليه السلام حرم الله عليهم دخولها ، قال سبحانه: ﴿فإنها محرمة عليهم﴾ فحرم الله عليهم الدخول إلى الأرض المقدسة لمدة أربعين سنة تاهوا خلالها في برية سيناء.

وذلك لأن بني إسرائيل لما اختاروا عدم التحرك من مكانهم وقالوا: ﴿إنا هاهنا قاعدون﴾ فأرادوا عدم التقدم وعدم التأخر قبل الحكم عليهم كقولهم فحكم عليهم بالتيه أربعين سنة في مكان ضيق يمسون حيث يصبحون ويصبحون حيث يمسون، قال العلامة ابن كثير[3] : «عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً وكان هذا آية من آيات الله في بني إسرائيل ، وكان ذلك من خوارق العادات إذ التحيز في تلك المسافة على عقلاء كثيرين هذه المدة الطويلة مما تحيله العادة)[4]

ويقول الدكتور رءوف شلبي[5] : «وقد استجاب الله لدعاء موسى عليه

---

(١) تفسير الألوسي (٦/٩٥)

(٢) البداية والنهاية (١/٢٧٨)، دار الفكر العربي ط٢/١٣٨٧هـ

(٣) تفسير الألوسي (٦/٩٥)

(٤) البداية والنهاية (١/٢٧٨) دار الفكر العربي سنة ١٣٨٧هـ

(٥) تفسير الألوسي (٦/٩٨)، المطبعة المنيرية بالقاهرة.

السلام فكتب التيه عليهم حتى يقضي عليهم فيه لأنهم قوم فاسقون وهو فسق تعلل به سيدنا موسى في دعائه ووافقه الله عز وجل فيه في قوله تعالى: ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ فهل يعقل بأن يرميهم الله ورسوله بالفسق ثم تكون لهم عند الله وجاهة؟ بل إن عدم دخولهم الأرض المقدسة جعل أحد الجرائم التي عددتها آيات في سورة البقرة والأعراف فدل ذلك على أن الله غضب عليهم وحرم عليهم الأرض المقدسة وفاقا لعنادهم وارتدادهم على أدبارهم. .» أهـ.

واخلص من ذلك إلى :

١ - أن قوله تعالى: ﴿التي كتب الله لكم﴾ بمعنى فرض عليكم دخولها وأمركم به ، وليس معناها الوعد والهبة.

٢ - أن اليهود ليس لهم حق لاديني ولا عقلي ولا معنوي في امتلاك الأرض المقدسة.



المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتاب المقدس

ثالثاً : كتب التفسير :

- تفسير ابن كثير.
- تفسير الألوسي.
- تفسير الكشاف.
- تفسير الفخر الرازي.
- تفسير البحر المحيط.

رابعاً : مراجع عامة :

الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم الأندلسي.

البداية والنهاية لابن كثير.

الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي- إسماعيل الكيلاني.

ملف إسرائيل - روجيه جارودي.

البعد الديني في السياسة الأمريكية -د. يوسف الحسن.

التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي- توماس طومسون.

الصهيونية العالمية - عباس العقاد.

العدوان الإسرائيلي - محمد عزه دروزة.

قاموس الكتاب المقدس.

خامساً: -حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد الأول ١٩٨٥ .

- حولية كلية الشريعة - جامعة قطر - العدد الثامن- ١٩٩٠م.